ISSN 25185985

مجلة أبحاث

ABHAT JOURNAL

دورية علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن كلية الآداب جامعة سرت - ليبيا

جامعة سرت: ص.ب 674 سرت -ليبيا
Tel: +218 54 5260361
Email: Abhat@su.edu.ly

18

مجلة أبحاث

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
تصدر عن كلية الآداب - جامعة سرت - ليبيا
العدد الثامن عشر، سبتمبر 2021 م

المشرف العام

د. فرحـه مفتاح عبد الله

رئيس التحرير

د. صلاح محمد اجبارة

أعضاء هيئة التحرير

د. لطيفة عمر عبد السلام
د. حنان مفتاح شعبان
أ. إبراهيم محمد فرج
أ. سالم محمد درياق

المراجعة اللغوية
د. فوزية عبد الحفيظ الواسع

الهيئة الاستشارية

د. حسن مسعود أبو مدينة
د. محمد الساعدي أصبيع
د. محمد عمر رمضان
د. سعد عمر عبد العزيز

توجه جميع المراسلات باسم رئيس هيئة التحرير لمجلة أبحاث عبر العناوين الآتية

جامعة سرت: ص.ب 674 سرت-ليبيا

Tel: +218 54 5260361

Email: Abhat@su.edu.ly

http://journal.su.edu.ly/index.php/ABHAT/index

مجلة أبحاث

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
تصدر عن كلية الآداب - جامعة سرت

ABHAT JOURNAL

FACULTY OF ARTS SIRTE UNIVERSITY LIBYA

دار الكتب الوطنية
بنغازي - ليبيا

رقم الإيداع القانوني

2015 / 393م

رقم الايداع الدولي

ISSN 2518 5985

حقوق الطبع والنشر محفوظة لجامعة سرت

جميع البحوث والآراء التي تنشر في المجلة لا تعبّر إلا عن وجهة نظر أصحابها، ولا تعكس بالضرورة رأي هيئة تحرير المجلة.

العدد الثامن عشر، سبتمبر 2021 م

شروط النشر:

- تعنى المجلة بنشر البحوث في مجال العلوم الانسانية والاجتماعية.
- لغة المجلة هي اللغة العربية، كما تقبل المجلة بحوثاً في تخصص اللغتين الانجليزية والفرنسية.
- يجب ألا يكون البحث قد سبق نشره أو الدفع به لأية مطبوعة أخرى أو مؤتمر علمي.
- أن يكون للبحث ملخص بالغة التي كتب بها لا يتجاوز 250 كلمة وعدد من الكلمات المفتاحية لا تتجاوز 5 كلمات.
- أن تكون للبحث مقدمة تثار فيها الإشكالية التي يرغب الباحث في تناولها بالدراسة والتحليل، وكذلك تحتوي على أهمية البحث وأهدافه وفروضه والمناهج المتبعة في البحث العلمي.
- أن يكون العمل ذا قيمة علمية (يتم تحديدها من قبل لجنة علمية مختصة).
- أن يكون البحث مراعياً للأصول العلمية في البحث العلمي والتوثيق.
- ينبغي ألا تزيد عدد صفحات البحث عن (30) صفحة.
- يطبع متن البحث بحجم (14) وبخط (Traditional Arabic) للبحوث باللغة العربية، و(Times New Roman) للبحوث باللغة الانجليزية والفرنسية.
- تعطى الاقتباسات والتعليقات والهوامش أرقاماً مسلسلة في متن البحث.
- تلحق الهوامش بآخر البحث بحجم (12)، على النحو الآتي: اسم المؤلف، عنوان الكتاب، دار النشر، الطبعة، مكان النشر، سنة النشر، الصفحة.
- تخضع البحوث التي ترد إلى المجلة للتقييم من قبل أساتذة متخصصين، وذلك وفقاً للأسس المتبعة. وقد يعاد البحث إلى كاتبه لإجراء بعض التعديلات النهائية حسب رأي المقيمين.
- على الباحث اللإلتزام بالتعديلات المطلوبة سواءً كانت من لجان التحكيم أو لجان التدقيق اللغوي أو لجان المراجعة الفنية والإخراج.
- يرسل البحث على البريد الإلكتروني للمجلة Abhat@su.edu.ly أو يقدم على قرص مضغوط (CD) إلى مقر المجلة بكلية الآداب بجامعة سرت. بصيغة word ونسخة بصيغة pdf

- يكتب الباحث اسمه، وبريده الإلكتروني ورقم هاتفه وجهة عمله، وعنوان البحث على واجهة البحث.
- يرفق مع البحث السيرة الذاتية للباحث للمرة الأولى.
- البحوث المقدمة إلى المجلة لا ترد إلى أصحابها سواء أُنشرت أم لم تنشر.
- ترسل إلى صاحب البحث المنشور نسخة من العدد الذي نشر فيه البحث. إذا كان الإصدار ورقي.
- يشترط في قبول البحوث التزامها بالشروط السابقة.

2021م

المحتويات

عنوان البحث	الصفحة
الأثر الفني لأسلوب الشرط في تشكيل الصورة البلاغية د. خالد إبراهيم أحمد أبو النجا	**37-9**
واقع ممارسة عمليات إدارة المعرفة وأثرها في تحقيق الأداء المؤسسي المتميز لدى اعضاء هيئة التدريس بأكاديمية الدراسات العليا فرع إجدابيا د. سليمان مفتاح الشاطر/ أ. نصر إدريس عبد الكريم/أ.خالد محمد فرج	**67-38**
اتجاهات الشباب الليبي نحو الهجرة غير الشرعية "دراسة ميدانية ببلدية حي الأندلس، طرابلس" د. نجية علي عمر الهنشيري	**91-68**
الحملة الإيطالية على فزان 1913م–1914م أ. عائشة الجروشي علي	**112-92**
الخمريات عند ابن زيدون أ. مرعي أرحومة جمعة الجالي	**134-113**
مبادئ دعوة الرسول – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – كما تقررها سورة الأنبياء دراسة موضوعية أ. م. د. حسن ناصر أحمد سرار/أ. م. د. أحمد محمد قاسم مذكور	**165-135**
المنهج العلمي عند عبد الرحمن بن خلدون في دراسة التاريخ " أسسه ومصادره ونتائجه والنقد الموجه له" د. إسماعيل سالم فرحات/أ. سليمان محمد قرقد	**192-166**
المستشرقون وموثوقية النص القرآني ريجيس بلاشير في كتابه (القرآن نزوله وتدوينه وترجمته وتأثيره) أنموذجاً د. سوف أبو القاسم الرحيبي/أ. علي يوسف خليفة لقع	**213-193**
الساكنة والسكن في عمالة وهران أثناء الاحتلال الفرنسي (1870–1939) د. بختاوي خديجة	**240-214**
سياسة الدولة العباسية مع الإمارة الأموية في الأندلس (138 هـ–232 هـ / 755 م–846م) د. امبارك محمد فرج	**261-241**

المحتويات

عنوان البحث	الصفحة
مستوى الأخلاقيات الطبية المهنية لدى أعضاء هيئة التدريس وطلبة الامتياز بالكليات الطبية بجامعة سرت د. عبد الحكيم سعد غيث/أ. نزهة أغنيوة الصغير/ أ. مفتاح علي مفتاح	281-262
الإعلام والتنمية التأثير والتأثر والأدوار المتبادلة د. المبروك محمد أبو القاسم/ د. أحمد عمر جبريل	308-282
دراسة تحليلية لبعض الظواهر الأسلوبية في قصيدة " وقفٌ عليها الحبُ" للشاعر الليبي الراحل د. خليفة محمد التليسي د. محمد أبوشعالة صالح/ أ. إبراهيم الصديق احرير	331-309
توجيه علل البناء والحذف عند الهرْميّ في كتابه: المحرر في النحو د. عبد الله راجحي محمد غانم/ د. يوسف حسن حسن العجيلي	366-332
الصورة الذهنية للهجرة والمهاجرين غير الشرعيين بالمجتمع الليبي دراسة وصفية بالجنوب الليبي. د. يوسف محمد أبوالقاسم الصيد/ د. منيرة محمد فرج التويب	394-367
الرّحلات العلميّة الأندلسيّة إلى مصر (ما بين القرنين الثّالث والخامس الهجريّين) أ. صالح الفيتوري امهلهل/ أ. محمد محمد المسعودي	415-395
دوافع وأثار الاستهلاك التفاخري: "رؤية سوسيولوجية " دراسة تطبيقية على عينة من الأسر بمدينة طبرق د. محمد شعيب محمد عقوب	443-416
التحليل الجغرافي لأثر العوامل الجغرافية على نشأة وتشغيل ميناء سرت التجاري د. حسين مسعود أبومدينة	471-444
الأسس العامة لفلسفة هوبز السياسية (دراسة تحليلية) أ.نعيمة أبو القاسم الجابري	493-472
الضغوط النفسية لدى أولياء أُمور أطفال اضطراب طيف التوحد (أطفال اضطراب طيف التوحد بمركز فزان نموذجا) د. نادية علي المهدي عبدالنبي	520-494
Enhancing Libyan EFL Undergraduate Students' Awareness of Mobile Applications for Learning English in the English Department at Sirte University Sumaia.O.Alzarga/ Mabroka.M.Bleed/ Telees.A.Rajab	546-521

الافتتاحية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين عليه نتوكل وبه نستعين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

تستمر معركة الفكر والوعي التي يخوضها فرسان الكلمة، لأجل الوصول إلى أعمال علمية قيّمة، تُميط اللثام عن جهل، فترسم طريقاً وتُنيرُ درباً، فالبحث عن الحقيقة العلمية ليست بالأمر الهيّن، يخوض فيها الكاتب صراعاً فكرياً قاسياً تكون نتائجه عملاً علمياً يمكّنه من امتلاك زمام المعرفة، إلا أن ذلك الجهد يظل صامتاً ما لم يجد طريقه إلى النشر.

مجلة أبحاث تسير بخطى ثابتة مستمرة في إرساء ثوابت النشر العلمي المحكّم، وتساهم بعناية في في إظهار تلك الأعمال، حيث شمل هذا العدد واحد وعشرون بحثاً في رؤى متعددة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، تضمنت قيماً علمية عالية، حتماً سيكون لها دوراً فاعلاً في خلق مجتمع المعرفة وستساهم في سمو المجتمع وتبوؤه مكانة علمية متقدمة.

خلال هذا العدد أيضاً سنستمر في تضمين شهادات معامل التأثير العربي Arcif التي تحصّلت عليها مجلة أبحاث خلال الأعوام 2020/2019/2018م، ويأتي هذا التضمين دعماً لأولئك البحّاث الذين اختاروا مشكورين نشر أعمالهم العلمية والفكرية عبر مجلة أبحاث.

سنستمر في قبول ملاحظاتكم وآراءكم أيضاً والعمل بها؛ قصد الرفع من الفاعلية المحلية، والإقليمية، والدولية للمجلة، وتحسين جودة الآداء، مجددين شكرنا لكل البحّاث الذين اختاروا مجلة أبحاث لنشر إنتاجهم الفكري. وإلى كل المحكّمين الذين تكبّدوا عناء تقييم تلك البحوث.

كما أود أنْ أتقدم بجزيل الشكر ووافر الامتنان للسّادة أعضاء هيئة التحرير وللسّادة أعضاء الهيئة الاستشارية، ولفريق التدقيق اللغوي بالمجلة والسّادة بمركز التوثيق والمعلومات، لجهودهم الحثيثة في دعم الانتاج المعرفي عبر تجويد العمل بمجلة أبحاث.

السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ

رئيس هيئة التحرير

01 سبتمبر 2021م

التاريخ: 2018-12-27

الرقم: L18/0244 IF

سعادة أ. د. رئيس تحرير مجلة أبحاث المحترم

جامعة سرت / دولة ليبيا

تحية طيبة وبعد،،،

نتقدم إليكم بفائق التحية والتقدير، و تهديكم أطيب التحيات وأسمى الأماني.

يسر قاعدة البيانات العربية الرقمية " **معرفة** " للمحتوى العلمي إعلامكم بأنها قد أطلقت **معامل التأثير و الاستشهاد العربي** " **ارسيف Arcif** " **Arab Citation & Impact Factor**. في 16 ديسمبر 2018، في عمّان – المملكة الأردنية الهاشمية.

وكما هو معلوم أن معامل التأثير لمجلة علمية (أكاديمية) أو بحثية، هو مقياس يستخدم للإشارة للأهمية النسبية للمجلات العلمية المحكمة و تأثيرها ضمن مجال حقلها، و يعكس مدى ارتباط الأبحاث الجديدة بالأبحاث التي نشرت سابقاً في تلك المجلة، والاستشهاد بها ضمن فترة زمنية معينة.

ومن الجدير بالذكر بأن قاعدة "**معرفة**" قامت بالعمل على جمع ودراسة بيانات ما يزيد عن **4000** عنوان مجلة عربية علمية أو بحثية في مختلف التخصصات، منشورة باللغة العربية، أو الإنكليزية أو الفرنسية أو متعددة اللغات، والصادرة عن أكثر من **1400** هيئة علمية أو بحثية في **20** دولة عربية، (باستثناء دولة جيبوتي وجزر القمر لعدم توفر البيانات) . ونجح منها **362** مجلة علمية فقط لتكون معتمدة ضمن معايير معامل التأثير و الاستشهاد العربي " **ارسيف Arcif** " في تقرير **عام 2018**.

وبهذا الخصوص يسر قاعدة بيانات "**معرفة**" إعلامكم بأن **مجلة أبحاث** الصادرة عن **جامعة سرت ، قد نجحت بالحصول على معايير اعتماد معامل التأثير و الاستشهاد العربي** " **ارسيف Arcif** " المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها ما يزيد عن (31 معياراً)، وللاطلاع على هذه المعايير يمكنكم الدخول إلى الرابط التالي: http://e-marefa.net/arcif/criteria/

و كان معامل تأثير " **ارسيف Arcif** " لمجلتكم لسنة 2018 **(لم نرصد أية استشهادات)**، على أمل حصول مجلتكم على معامل تأثير متقدم في تقرير 2019

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير

أ.د. سامي الخزندار

رئيس مبادرة معامل التأثير و الاستشهاد العربي

" ارسيف Arcif"

التاريخ: 2019-10-13

الرقم: L19/475 ARCIF

سعادة أ. د. رئيس تحرير مجلة أبحاث المحترم

جامعة سرت، كلية الآداب / ليبيا

تحية طيبة وبعد،،،

نتقدم إليكم بفائق التحية والتقدير، و نهديكم أطيب التحيات وأسمى الأماني.

يسر **معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية (ارسيف – ARCIF)**، أحد مبادرات قاعدة بيانات "**معرفة**" للإنتاج والمحتوى العلمي، إعلامكم بأنه **قد أطلق تقريره السنوي الرابع** للمجلات للعام ٢٠١٩، خلال الملتقى العلمي "**مؤشرات الإنتاج والبحث العلمي العربي والعالمي في التحولات الرقمية للتعليم الجامعي العربي**" بالتعاون مع الجامعة الأمريكية في بيروت بتاريخ ٣ أكتوبر ٢٠١٩.

يخضع معامل التأثير "ارسيف Arcif" لإشراف "مجلس الإشراف والتنسيق" الذي يتكون من ممثلين لعدة جهات عربية ودولية: (مكتب اليونيسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية ببيروت، لجنة الأمم المتحدة لغرب اسيا (الإسكوا)، مكتبة الاسكندرية، قاعدة بيانات معرفة ،جمعية المكتبات المتخصصة العالمية/ فرع الخليج). بالإضافة للجنة علمية من خبراء وأكاديميين ذوي سمعة علمية رائدة من عدة دول عربية وبريطانيا.

ومن الجدير بالذكر بأن معامل " **ارسيف Arcif** " قام بالعمل على جمع ودراسة و تحليل بيانات ما يزيد عن (٤٣٠٠) عنوان مجلة عربية علمية أو بحثية في مختلف التخصصات، والصادرة عن أكثر من (١٤٠٠) هيئة علمية أو بحثية في (٢٠) دولة عربية، (باستثناء دولة جيبوتي وجزر القمر لعدم توفر البيانات). ونجح منها (٤٩٩) مجلة علمية فقط لتكون معتمدة ضمن المعايير العالمية لمعامل "**ارسيف Arcif**" في تقرير **عام ٢٠١٩** .

ويسرنا تهنئتكم وإعلامكم بأن مجلة أبحاث الصادرة عن جامعة سرت، كلية الآداب، **قد نجحت بالحصول على معايير اعتماد معامل "ارسيف Arcif"** المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها ٣١ معياراً، وللاطلاع على هذه المعايير يمكنكم الدخول إلى الرابط التالي:
http://e-marefa.net/arcif/criteria/

و كان معامل "**ارسيف Arcif** " لمجلتكم لسنة ٢٠١٩ **(لم نرصد أية استشهادات)**، و صنفت في تخصصها ضمن الفئة (الرابعة Q4).

و نأمل حصول مجلتكم على معامل تأثير متقدم في تقرير عام ٢٠٢٠.

و بإمكانكم الإعلان عن نجاحكم في الحصول على معايير اعتماد معامل "**ارسيف Arcif**" العالمية سواء على موقعكم الإلكتروني، أو على مواقع التواصل الاجتماعي، و كذلك الإشارة في النسخة الورقية لمجلتكم إلى معامل "**ارسيف Arcif**" الخاص بمجلتكم.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير

أ.د. سامي الخزندار

رئيس مبادرة معامل التأثير

" ارسيف Arcif"

معامل التأثير والاستشهاد العربي Arcif Arab Citation & Impact Factor

التاريخ: 2020-10-24

الرقم: L20/310 ARCIF

المحترم سعادة أ. د. رئيس تحرير مجلة أبحاث
جامعة سرت، كلية الآداب، سرت/ ليبيا
تحية طيبة وبعد،،،

يسر **معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية (ارسيف – ARCIF)**، أحد مبادرات قاعدة بيانات "**معرفة**" للإنتاج والمحتوى العلمي، إعلامكم بأنه قد **أطلق التقرير السنوي الخامس للمجلات للعام 2020**.

يخضع معامل التأثير "ارسيف Arcif" لإشراف "مجلس الإشراف والتنسيق" الذي يتكون من ممثلين لعدة جهات عربية ودولية: (مكتب اليونيسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية ببيروت، لجنة الأمم المتحدة لغرب اسيا (الإسكوا)، مكتبة الاسكندرية، قاعدة بيانات معرفة، جمعية المكتبات المتخصصة العالمية/ فرع الخليج). بالإضافة للجنة علمية من خبراء وأكاديميين ذوي سمعة علمية رائدة من عدة دول عربية وبريطانيا.

ومن الجدير بالذكر بأن معامل "**ارسيف Arcif**" قام بالعمل على فحص ودراسة بيانات ما يزيد عن **(5100)** عنوان مجلة عربية علمية أوبحثية في مختلف التخصصات، والصادرة عن أكثر من **(1400)** هيئة علمية أو بحثية في **(20)** دولة عربية، (باستثناء دولة جيبوتي وجزر القمر لعدم توفر البيانات). ونجح منها **(681)** مجلة علمية فقط لتكون معتمدة ضمن المعايير العالمية لمعامل "**ارسيف Arcif**" في تقرير **عام 2020**.

ويسرنا تهنئتكم وإعلامكم بأن **مجلة أبحاث** الصادرة عن **جامعة سرت، كلية الآداب، ليبيا قد نجحت بالحصول على معايير اعتماد معامل** "**ارسيف Arcif**" المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها **(31) معياراً**، وللاطلاع على هذه المعايير يمكنكم الدخول إلى الرابط التالي: http://e-marefa.net/arcif/criteria/

و كان معامل "**ارسيف Arcif**" لمجلتكم لسنة 2020 **(0.037)**. مع العلم أن **متوسط معامل أرسيف** في **تخصص العلوم الإنسانية (متداخلة التخصصات)** على المستوى العربي كان **(0.076)**، وقد صنفت مجلتكم في هذا التخصص ضمن الفئة (الثانية Q2) وهي الفئة الوسطى المرتفعة.

و بإمكانكم الإعلان عن هذه النتيجة سواء على موقعكم الإلكتروني، أو على مواقع التواصل الاجتماعي، و كذلك الإشارة في النسخة الورقية لمجلتكم إلى معامل "**ارسيف Arcif**" الخاص بمجلتكم.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام و التقدير

أ.د. سامي الخزندار
رئيس مبادرة معامل التأثير
"ارسيف Arcif"

الخمريات عند ابن زيدون

أ. مرعي أرحومة جمعة الجالي
كلية الآداب والعلوم – القبة/ جامعة عمر المختار/ليبيا
marae.aljaly@omu.edu.ly

الملخّص:

يهدف هذا البحث إلى تتبع ظاهرة (الخمر والمجون في شعر ابن زيدون) من خلال محورين أساسيين أو بلاطين اثنين أنشد فيهما ابن زيدون أغلب شعره؛ أولهما البلاط الجهوري بقرطبة الموصوف بالتدين والوقار، وثانيهما البلاط العبادي بإشبيلية الموصوف بالخلاعة ومزاولة العقار. واعتمد الباحث في هذا البحث على المنهج الوصفي الذي يقوم على تتبع هذه الظاهرة زمانيًّا ومكانيًّا، وتبعًا للزمان والمكان والمواقف والأحداث ستختلف نظرته لهذه الظاهرة في شعره بين تركها والمجاهرة بها، وخلص البحث إلى نتائج منها:

1 . نشأ الشاعر نشأة دينية، فتتلمذ على جملة من العلماء والفقهاء، ويدلنا على ذلك هذا التوظيف الهائل للنصوص الدينة من قرآن وسنة، واستحضار التاريخ الإسلامي في شعره، ولكن طبيعة عصره المتحلل، والأحداث السياسية والعاطفية التي عصفت به؛ مالت به إلى مباشرة اللهو ومعاقرة الراح.

2 . ففي البلاط الجهوري لا نكاد نجد لشعر الخمر والمجون أثرًا في شعره، بل كان يشيد بمواقفهم في محاربة هذه الظاهرة، مشيدًا بتدينهم ووقارهم.

3 . وفي البلاط العبادي تولدت صلات صداقة ومودة وطيدة الأركان بينهم وبين الشاعر جعلتهم يشركونه في خلواتهم، ويقارعونه الكؤوس ويطارحونه الأسمار ويقارضونه الأشعار ويهدي إليهم ويقبل هداياهم، فكثر في شعره وصف الخمر ومجالسها، مصورًا أماكن انعقادها في قصورهم ورياضهم، وأبدع في تصوير ألوانها.

الكلمات المفتاحية: الخمريات، شعر ابن زيدون، البلاط الجهوري، البلاط العبادي

المقدمة:

الحمد لله حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد.

يتناول هذا البحث موقف ابن زيدون من الخمر من خلال شعره في البلاط الجهوري بقرطبة، والبلاط العبادي بإشبيلية، والذي يبدو لنا أن شعره مر بطورين ففي الطور الأول والذي يمثل شعره في أبي الحزم وابنه الوليد ابن جهور لا نكاد نجد لهذه الظاهرة وجودا في شعره؛ بل كان يشيد بزهدهم وتدينهم ومحاربتهم لهذه الظاهرة، وفي الطور الثاني والذي يمثل شعره في المعتضد بن عباد وابنه المعتمد يكثر حديثه عن الخمر والملذات، واصفاً ألوانها ومكان وزمان تناولها.

أهداف البحث:

يهدف البحث عن موقف ابن زيدون من الخمر في شعره، في البلاط الجهوري بقرطبة، والبلاط العبادي بإشبيلية.

أهمية البحث:

تكمن في تتبع ظاهرة الخمر وأثرها في شعر ابن زيدون، من خلال قصائده، في البلاطين الجهوري والعبادي،

منهجية البحث:

يحتاج هذا النوع من الدراسات للمنهج الوصفي والنفسي لما فيه من وصف لهذه الظاهرة، ومدى تأثيرها في نفسيته وشعره.

المبحث الأول: ابن زيدون، حياته وعصره:

هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون، ولد بقرطبة سنة 394هـ، وهو سليل أسرة اشتهر أفرادها بالعلم والأدب، وتنتسب لمخزوم من قبيلة قريش، وهي من القبائل التي وفدت على الأندلس، وتوطنت في جهات قرطبة[1] كان أبوه فقيهًا ذا مكانة علمية ودينية محترمة، فاهتم به هذا الفقيه منذ نعومة أظفاره، فأحضر له الأدباء والمثقفين، ووصله بالعلماء والفقهاء من أصحابه، ولعل انحدار ابن زيدون من سلالة الفقهاء ونشأته في أحضان جده، كانا كفيلين بجعله مترفًا ووقورًا، بيد أن طبيعة المرحة ونفسه الحساسة فضلًا عن طبيعة عصره المتحلل، مالت به إلى

مباشرة اللهو ومعاقرة الراح واستباحة المتعة، فهزته فنون الموسيقى والغناء، فبهر" بنظامه، وظهر كالبدر ليلة تمامه، فجاء من القول بسحرٍ، وقلده أبهى نحرٍ، لم يصرفه إلا بين ريحان وراح، ولم يطلعه إلا في سماء مؤانسة وأفراح"[2].

ويُعَدُّ ابن زيدون من أبرز شعراء الأندلس وكتَّابها المشهورين، اشتغل بالسياسة وتولى منصب الوزارة والسفارة بين الملوك والأمراء في عهد ابن جهور بقرطبة حتى أمر بسجنه فاستعطفه بشعره ونثره، فلم يعف عنه، ففر من السجن واتصل بالمعتضد بن عباد ملك إشبيلية وصار وزيرًا له. ومن الفوارق التي أوهت العلاقة بين ابن زيدون وابن جهور أن الأمير كان متواضعًا متعففًا زاهدًا متمسكًا بدينه حريصًا عليه، بينما كان ابن زيدون مغرورًا معتزًّا بنفسه ذهب به العجب كل مذهب، يلهو ويعاقر الراح ويذهب مع الحب كل مذهب، بالإضافة إلى فارق السن بينهما حيث يكبر ابن جهور شاعرنا بحوالي ثلاثين عاما [3]. أما المعتضد فقد عرف بالشدة والحزم والقسوة، وأوتي من جمال الصورة، وتمام الخلقة، وفخامة الهيئة، ما فاق نظراءه، وكان شاعرًا، يعرف للشعراء قدرهم. فمن قسوته كان يتلذذ بفتكه، حتى إنه اتخذ من رؤوس أعدائه أواني للأزهار في فناء قصره يشرف عليها في أوقات لذاته تدار عليه كؤوس الراح ويحيَّا عليها بقبض الأرواح،[4] وقد طوى حياته في حروب ظافرًا بأعدائه.[5] وتولى بعده ابنه المعتمد سنة 461هـ، وكان يشبه هارون الواثق بالله من ملوك بني عباس ذكاء نفس، وغزارة أدب، وقد ورث عن أبيه حدة الشهوة، وشدة الكلف بالخمر والنساء، وسرت في روحه فنون الأدب فكان يهتز للشعر ويصوغه ويترجله ويسخو في تكريم رجاله، وهو أشعر ملوك الطوائف على الإطلاق، ويمتاز شعره بالرقة والعذوبة كما يمتاز بالعاطفة القوية[6].

المبحث الثاني: أثر طبيعة الأندلس في شعر ابن زيدون:

لقد خلبت الأندلس ألباب الشعراء، لما امتازت به من طبيعة فاتنة ساحرة، فتغنوا بمفاتنها ومشاهدها باثِّين فيها عواطفهم ومشاعرهم، وكان مما زادهم شغفًا اختلافهم إلى منتزهاتها وحدائقها مع صواحبهم، فكثر عند شعرائهم المزج بين الطبيعة والغزل، والمزج بين الطبيعة والخمر.[7] ويعزو شوقي ضيف إقبال الأندلسيين على الخمر إلى "مزاجهم الحاد العنيف الذي ولدته فيهم حربهم الدائمة لنصارى الشمال؛ إذ تقوم حياة المحارب دائمًا على الحدة والعنف والإقبال على فنون المتاع، وكان من آثار ذلك أن كثر عندهم شعر الخمر مقرونًا بالطبيعة أو بها

وبالحب"،[8] فأصبحت الخمر من أكثر فنون الشعر ذيوعًا بين شعرائهم، "مخالفين في ذلك التحريم الديني للخمر"،[9] ولا سيما في عصر ملوك الطوائف الذي عرف بالترف واللهو والملذات، وإذا كان ابن زيدون قد عاش شطر حياته الأول بقرطبة التي عرف ملوكها بالتدين والوقار، فإنه عاش شطر حياته الثاني بإشبيلية التي عرف ملوكها باللهو وشرب العقار، ولا شك أن نظرته للخمر ستتغير وتتباين، من حيث شربها أو رفضها.

وقد ارتبط اسم ابن زيدون بزهرة من زهرات البيت الأموي، وهي ولادة ابنة الخليفة محمد بن عبد الرحمن المستكفي بالله، الذي وصف بسقوط الهمة، المنغمس في الشهوات، وكانت ولادة واحدة أقرانها حسن منظر ومخبر[10]، فوصفت بأنها أديبة شاعرة جزلة القول مطبوعة الشعر"، تهافت الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها إلى سهولة حجابها وكثرة منتابها. قال ابن بسام بعد أن أثنى عليها: "على أنها ـ سمح الله لها وتغمد زللها ـ اطرحت التحصيل، وأوجدت إلى القول فيها السبيل بقلة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها.."[11]، كان أن ابن زيدون من جملة الشعراء الذين يقصدون منتداها الأدبي أيام الشباب، فما لبث أن وقع في أشراك حبها وبادلته هيامًا بهيام، وله معها "ليالي حاليات يساقيها الراح ويستمع إلى غناء جاريتها عتبة، وأعانه على إشباع ميوله أن معظم من اتصل بهم من الملوك أو عاش في ظلالهم كانوا يستجيبون لهذه النزعات، مثل أبي الوليد بن جهور في مستهل حكمه، وإدريس بن حمود، والمعتضد بن عباد، وابنه المعتمد"[12] فقال جل غزلياته ومجونه في ولادة، ولا شك في أن الغزل والمجون مدعاة لشرب الخمر ووصفها.

المبحث الثالث: خمريات ابن زيدون في بلاط بني جهور:

وردت الخمر في شعر ابن زيدون في بلاط أبي الحزم ابن جهور بقرطبة، الموصوف بالتدين والوقار في مطالع مدائحه ممزوجة بالغزل تارة، وبوصف الطبيعة تارة أخرى على عادة الشعراء العباسيين، وأغلب تلك القصائد قيلت من السجن، كقوله مستشفعًا بأبي حزم:[13]

أَمَا وألْحَاظٍ مِراضٍ صِحَاحْ تُصْبِي وأعْطَافٍ نَشَاوَى صَوَاحْ
لِبَائِنٍ بِالحُسْنِ، في خَـدِّهِ وَرْدٌ، وَأَثْنَـاءَ ثَنَـايَـاهُ راحْ
لَـمْ أنْسَ إذْ بَاتَتْ يَدِي لَيْلَةً وِشَاحهُ اللَّاصِقَ دُونَ الوِشَـاحْ

وبعث إليه رسالته الجدية، يشكو إليه سوء حاله، مشفعًا تلك الرسالة قصيدة ميمية استهلها بالغزل ممزوجًا بوصف الخمر، منها:

إذْ خِتَامُ الرّضَا المسَوَّغِ مِسْكٌ ومِزَاجُ الوِصَالِ مِنْ تَسْنِيمِ
وَغَرِيضُ الدّلالِ غَضٌّ جنى الصّبـ ـوَةِ نَشْوَانَ مِنْ سُلافِ النّعيمِ
فهو ريحانة الجليس، ولا فخر وفيه مزاج كأس النديم

ولا شك أن الشاعر سجن بسبب ثورته وموجونه وتطلعه للسلطة، التي أسخطت أبي الحزم عليه، فبدأ الشاعر يستعطفه، ويصفه بالوقار والتدين والتقى، في كثير من قصائده كقوله:

مَلِكٌ أطَاعَ اللهَ مِنْهُ مُوَفَّقٍ مَا زَالَ أوَّابًا إلَيْهِ مُنِيْبًا
يَأتِي رِضَاهُ مُعَادِيًا وَمُوَالِيًا وَيَكُونُ فِيهِ مُعَاقِبًا ومُثِيبًا

وأن هذا الأمير سخر كل جاهه لخدمة الدين فحارب الآثام والمحرمات، قاضيا على الخمر والخبائث، وفي ذلك يقول:

هُو المِلكُ المشفوعُ بالنّسكِ ملكُه، فَيا فَضْلَ مَا يَخفي و يَا سَرْوَ مَا يَبدُو
إلـى اللهِ أوّابٌ، ولله خَـائِفٌ، وبِالله مُعْتَـدٌّ ، وَفِـي الله مُشْتَـدّ
لقد أوْسَعَ الإسلامَ، بالأمسِ، حِسْبةً نَحَتْ غَرَضَ الأجرِ الجزِيلِ فلم تعْدُ
أبَاحَ حِمَـى الخَمْرِ الخَبِيثَةِ حائِطًا حِمَى الدّينِ، من أنْ يُسْتَبَاحَ لَهُ حـدّ
فَطَوّفَ بِاسْتِئْصَالِهَا المِصْرَ مِنَّـةً يَكَادُ يُؤَدّي شُكرَها الحجرُ الصَّلدُ
هِيَ الرِّجْسُ، إنْ يُذْهِبْهُ عَنْهُ فَمُحْسِنٌ شَهِيْرُ الأَيَـادِي مَا لِآلائِهِ جَحْـدُ
مَظِـنّةُ آثَـامٍ وَأُمُّ كَبَائِـرٍ يُقَصّـرُ عَن أدنَى مَعايِيها العَـدّ
رَأى نَقْصَ ما يجبيهِ مِنها زِيَـادَةً إذْ العِوضُ المَرْضِيّ، إلا يَرُحْ يَغْدو

وبمناسبة تحريم الخمر يقول ابن زيدون مداعبا أبا العباس بن حاتم بن ذكوان، ومشيرًا إلى نهي أبي الحزم عن المدام:

لستَ من بابَةِ المُلُوكِ أبَا الـ ـعَبَّاسِ دَعْهُمْ فَشأنُهُمْ غيرُ شانِكْ
مَا جَزَاءُ الأميرِ مِنْكَ إذ اخْـ ـتَصَّكَ أنْ تَستَمرَّ في إدمـانِكْ
أتـراهُ لا يَسْتَرِيبُ لإمسَا كِكَ سُرْدَ العِرَاقِ تَحتَ لِسانِـك
مُذْ نَهَانَا عَن المدَامِ انْتَهينا مَعَ أنّـا نُعَدُّ مِنْ صِبْيَانِـكْ

وفي الأبيات إشارة واضحة إلى أنه كان مدمنًا على شرب الخمر، ولما نهاه أبو الحزم عنها، انتهى ـ ظاهرًا ـ وأشاد بتقوى الأمير وتدينه.

ولما توفي أبو الحزم رثاه الشاعر بقصيدة يبدو أنه قد أخطأ فيها التوفيق، إذ لا نحس بحزنه عليه، وإنما كان رثاؤه مجاملة ومدحًا لولي عهده الجديد أبي الوليد، فالقصيدة مليئة بالكلمات التي لا تناسب المقام كلها مدح وسرور ووصف للطبيعة والخمر، فمن ذلك قوله:

أهَـابَتْ إليْهِ بالقُلُـوبِ مَحَبَّـةٌ هِيَ السِّحْرُ للأهْواءِ بَلْ دُونَهَا السِّحْرُ
سَرَتْ حَيْثُ لا تَسْري مِنَ الأنْفُسِ المنَى ودَبَّتْ دَبِيبًا ليْسَ يُحْسِنُهُ الخَـمْرُ
لَبِسْنَا لَدَيْـهِ الأَمْـنَ تَنْدَى ظِلاَلُـهُ وَزَهْرَةَ عَيْشٍ مِثْلَ مَا أينَعَ الـزَّهْرُ
وَعَـادَتْ لَنَا عَـادَاتُ دُنْيَا كأَنَّمَا بِهَا وَسَنٌ أوْ هَـزَّ أعْطَافَهَا سُكْرُ

وبعد أن انتهت تقاليد الحداد وانتقل الحكم إلى أبي الوليد، وأخذ الشاعر مكانته الأدبية في بلاط الأمير فنظم قصيدة راقصة استهلها بالغزل ممزوجا بوصف الخمر، يقول في مطلعها:

مَا للمُـدَامِ تُدِيرُهَا عَيْنَاكِ فَيَمِيلُ في سُكْرِ الصِّبَا عِطْفَاكِ؟
هَلَّا مَزَجْتِ لعَاشِقيكِ سُلافَها بِبَرُودِ ظَلْمِـكِ أوْ بِعَذْبِ لمـاكِ؟
وَاهًا لِعَطْفِكِ، وَالزَّمَانُ كَأَنَّمَا صُبِغَتْ غَضَارَتُهُ بِبَرْدِ صِبَـاكِ
وَاللَّيلُ مَهْمَا طَالَ قَصّر طُولَهُ هاتي . وقد غَفَلَ الرَّقِيبُ . وَهَاكِ
وَلَطَالَمَا اعْتَـلَّ النَّسِيمُ فَخِلْتُهُ شَكْوَايَ رَقَّتْ فَاقْتَضَبتْ شَكْوَاكِ

إلى أن انتقل إلى مدح الأمير فأضفى عليه خلال المكرمات مبشرًا نفسه والدنيا به:

بُشْراكِ يا دنيا وبُشرانا معًا هذا الوزيرُ أبو الوليد فتاكِ

وقد بعث إليه ذات يوم هدية تفاح مصحوبة بقطعة شعرية، منطلقًا بالمجاهرة بخمرياته ومجونه، قائلًا:

أتَتْكَ بِلَـونِ المحِبِّ الخَجِلْ تُخالِطُ لَوْنَ المحِبِّ الوَجِـلْ
ثِمَـارٌ تَضَمَّـنَ إدْرَاكَهَا هَوَاءٌ، أحـاطَ بِهَا مُعْتدِلْ
تَأَتَّى لإلْطَـافِ تَدْرِيجِهَا فمِنْ حَرّ شَمْسٍ إلى بَرْدِ ظِلّ
إلى أنْ تَنَاهَتْ شِفَاءَ العَلِيلِ وأُنْسَ المشُوقِ ولَهْوَ الغَـزِلْ
فَلَوْ تَجْمُدُ الراحُ لم تعْـدُها وإن هي ذابتْ فخَمْرٌ تَحِـل
لَهَا مَنْظَرٌ حَسَنٌ في العُيُـونِ كَدُنْيَـاكَ لَكِنَّـهُ مُنْتَقِـلْ
وَطَعْـمٌ يَلَـذّ لِمَنْ ذَاقَـهُ كَلَـذّةِ ذِكْرَاكَ، لَوْ لَمْ يُمَـلّ

وَرَيَّا، إذا نَفَـحَتْ خِلْتُهَا تُمِـلَّ تَنَاءَكَ، أوْ تَسْتَـهِلّ
يُمَثِّـلُ مَلْمَسُهَا، للأكُـفّ لِيْـنَ زَمَانِـكَ أوْ يَمْتَثِـلْ
صَفَوْتُ، فَأدلَلْتُ في عَرْضِها؛ وَمَنْ يَصْفُ منهُ الهَوَى فَلْيُدِلّ
قَبُولُكَـهَا نِعْمَـةٌ غَضَةٌ، وَفَضْـلٌ بِمَا قَبْلَهُ مُتَّصِـلْ
وَلَوْ كُنْتُ أهْدَيتُ نَفسِي اختَصرْ تُ، على أنَّها غَايَةُ المحْتَفِلْ

وكان أبو الوليد كثيرًا ما يحضر سهرات ابن زيدون الممتعة في قرطبة مع القاضي أبي بكر ابن ذكوان، [14] التي شبهت بسهرات الوزير المهلبي والقاضي التنوخي، حينما تقدم بهما العمر، فكان لهما ذقون بيضاء تنهال على صدورهما، وكان يتعاطيان في النهار أمور الدولة في حشمة ووقار، حتى إذا جن الليل اجتمعا في مجلس العقار، فكانا يشربان في أواني البلور والنضار ولا يكتفيان بلذة الشراب، بل يغمسان أذقانهما في الأواني ثم يرش كل منهما على صاحبه لتتم لهما لذة السكر ويستمران على ذلك طرفًا من الليل حتى إذا جاء الصباح عادا إلى أشغالهما؛ الوزير في تدبير الدولة وقاضي القضاة في النظر في الخصومات، واستمرا على هذه الحال في معاقرة المدام، حتى وافاهما الحمام [15] غير أن ابن جهور لم يدم طويلًا على هذا الحال، حتى هجر سهراته الليلية "ورأى من واجب الملك أن يلتزم حدود الدين، وأن يتمسك بأهداب التقى والوقار"،[16] فأخذ الشاعر يصفه بالزهد والعبادة والتنسك وصحة المتاب وحب المساجد، فمن ذلك قوله:

فإنّكَ للـدِّينِ الشَّعِيْبِ لَمِلامٌ؛ وَإنّكَ لِلْمُلْكِ الثّمِي لَرِئَـابُ
إذا مَعْشَرٌ أَلْهَاهُمُ جُلَسَاؤُهُمْ فَلَهْوُكَ ذِكْرٌ وَالجَلِيسُ كِتَابُ
وَجَاوَرْتَ بَيْتَ اللهِ أُنْسًا بِمَعْشَرٍ حَشوهُ فَحَرّوا رُكّعًا وأنَابُوا
ولَقَد جَدَّ إخْباتٌ وحَـقَّ تَبَتلٌ وبَالَغَ إخْلَاصٌ وصَحّ مَتابٌ

ففي هذه الأبيات إشارة واضحة إلى أن الأمير قد تاب عن معاقرة الراح وتنسك وتعبد تقليدًا لأبيه، ولهذا قال الشاعر واصفًا هذه التوبة:

ولَقَد جَدَّ إخْباتٌ وحَقَّ تَبَتلٌ وبَالَغَ إخْلَاصٌ وصَحّ مَتابٌ

والقصيدة طويلة في نحو ثلاثة وتسعين بيتا، لم يذكر فيها الخمر إلا على سبيل التمثيل، حين شبه شهامة ممدوحه وسلامة مذهبه في صفائه بالماء الذي يخالط الراح الصافية.

حَلِيْمٌ تَلافَـى الجَاهِلِيْنَ أَنَاتُهُ إذِ الحِلْمُ عن بعضِ الذُّنُوبِ عِقَابُ

إذا عَثَرَ الجاني عَفَا عَفْوَ حَافِظٍ بِنُعْمَى لَهَا فِي المُذْنِبِينَ ذِنَابُ
شَهَامَةُ نَفْسٍ فِي سَلاَمَةِ مَذْهَبٍ كَمَا المِاءُ للرّاحِ الشُّمُولِ قِطَابُ

وفي موضع آخر يشبه ابن زيدون مناصرة باديس لمحمد بن جهور وتصادقهما وتصافيهما بتصافي الماء العذب مع الخمر:

فَمِثْلُكَ وَالى مِثْلَه، فَتَصَافَيَا كَمَا صَافَتِ الماءَ القَرَاحَ مُدَامُ

ويبدو أن ابن زيدون كان يشرب الخمر في الوقت الذي يشيد فيه بتوبة ابن جهور، حيث كان يطيل البقاء في سفرياته عند الملوك يحضر مجالس أنسهم؛ فقد عنَّ له مطلب بحضرة إدريس صاحب مالقة فأطال الثواء هنالك، واقترب منه، "وخف على نفسه، وأحضره مجالس أنسه، فعتب عليه ابن جهور، وصرفه عن ذلك التصرف"[17] فعُزِل من منصبه قبل رجوعه إلى قرطبة.

المبحث الرابع: خمريات ابن زيدون في بلاط بني عباد:

بعد عزله من منصبه بقرطبة يمم ابن زيدون وجهه تجاه إشبيلية التي وصفت بعروس بلد الأندلس لأن تاجها الشرف، وفي عنقها سمط النهر الأعظم، الذي يضاهي دجلة والفرات والنيل تسير فيه القوارب للنزهة والسير والصيد تحت ظلال الثمار وتغريد الأطيار.[18] واشتهرت بمجالس اللهو والطرب والشراب، حتى قال فيها ابن رشد: "إذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة، وإذا مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت إلى إشبيلية. [19] ويقول ابن خلدون في معرض حديثه عن الغناء وانتقاله إلى الأندلس بواسطة المغني زرياب: "...فأورث بالأندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه إلى أزمان الطوائف، وطما منه بإشبيلية بحر زاخر"، [20].وقد وصلت "الخمريات وشعر النسيب والغزل أعلى درجات الكمال في هذا البلاط المصقول.."؛ [21] لأن ظاهرة شرب الخمر ومعاقرتها راجعة إلى رواج توفرها في إشبيلية، بسبب كثرة الكروم، وإنتاجهم للخمور والأنبذة، يضاف إلى ذلك سحر الطبيعة وجمالها الذي وفر لمتعاطيها قصورًا ومنازه، في ظل التحلل من الممنوعات والمحظورات بجميع أنواعها.[22] بالإضافة إلى شيوع القلق النفسي الملازم للاضطرابات النفسية السياسية بين الأفراد،[23] ومنهم من يعزو تردد الفرد على مجالس الشراب واللهو إلى إحساس الفرد بضياع العمر، وزوال الشباب، وتفاهة الحياة وقصرها[24]. فكيف لا يجذب هذا المناخ الخصب شاعرًا غنائيًّا حساسًا كابن زيدون، وقد عزله ابن جهور، وهجرته ولادة، فانتقل إلى إشبيلية، فتلقاه المعتضد في وزرائه وأعيان بلده وشعرائه، فاحتفل به

احتفالًا رائعًا، وأفاض عليه الخلع السوابغ وألقى إليه بمقاليد وزارته، [25] فنزل في بيت صديقه أبي عامر بن سلمة، الذي كان مشغوفًا بالراح، مثل أميره المعتضد، وقد ألف له كتابًا سماه (حديقة الارتياح في وصف حقيقة الراح)،[26] وأترع لشاعرنا كؤوسه وتبادلا الأشعار في وصفها والحديث عنها، كقول ابن زيدون:

أدرْها فقد حسُنَ المجلسُ وقد آن أن تُتْرَعَ الأَكْؤُسُ
ولا بأس إن كان ولَّى الربيعُ إذا لم تجد فقْدهُ الأنفسُ
فإنَّ خـلال أبي عـامر بها يخْضُرُ الوَرْدُ والنرجسُ

وقد تبوَّأ ابن زيدون مجلسه بالقرب من المعتضد، ولزم حومته واتصل بسياسته، فأصبحت بينهما صلات صداقة ومودة وطيدة الأركان جعلت الأمير يشركه في خلواته، ويقارعه الكؤوس ويطارحه الأسمار ويقارضه الأشعار ويهدي إليه ويقبل هداياه،[27] وكان المعتضد وإيمانا منه بضرورة شربها يدعو ندماءه وأصفياءه إلى مجلس يعد خصوصًا لتناول كؤوسها بالقدر الذي يشبع نهمهم، ويروي غلتهم، فيقول:[28]

وها هو المجلس المعدُّ لكم فادخل إليه، وليدخُلِ القوم
إلى كؤوسٍ لو شاء شاربُها يعومُ فيها لأَمْكنَ العوم

وقد طرز ابن زيدون في المعتضد أروع القصاد التي تعبر عن رضاه وشكره له بعد أن أسبغ عليه أياديه ونعمه، مستفتحًا أغلب مدائحه له بالحديث عن الخمر ووصف مجالسها، كقوله:

أَعَرْفُكِ رَاحَ في عُرْفِ الرِّيَاحِ فَهَزَّ مِنَ الهَوَى عِطْفَ ارْتِيَاحِي؟
وذِكْرُكِ ما تَعَرَّضَ أم عِـدَاذٌ؟ غَصِصْتُ عليهِ بِالعَذَبِ القَـرَاحِ
وَهَلْ أَنَا مِنْكِ في نَشَـواتِ شَوقٍ . هَفَتْ بِالعَقْلِ . أَوْ نَشَـوَاتِ رَاحِ؟
تَحَيِّنِي بِرَيْحَـانِ التَّحَـفِّي وتُصْبِحُنِي مُعَتَّقَـةَ السَّمَـاحِ
فَهَا أنَا قَدْ ثَمِلْتُ مِنَ الأيَـادِي إذِ اتَّصَلَ اغْتِبَاقِي في اصْطِبَاحِـي
فَإنْ أَعْجِـزْ فإنَّ النَّصْحَ ثَقْفٌ وإنْ أَسْكَـرْ فإنَّ الشُّكْـرَ صَاحِي

ويقول ابن زيدون في مدحه وتهنئته بقرانه:

وأَطِلْ إلَى شَدْوِ القِيَانِ، إصَاخَةً؛ وتَلَقَّ مُتْرَعَةَ الكُؤُوسِ دِرَاكَا

تَحْتَثَّهَا، مَثْنَى مَثَانِي غَـادَةٍ، شَفَعَتْ بِحَثِّ غِنَائِهَا الإِمْسَاكَا
مَا العَيْشُ إلاَّ فِي الصَّبُوحِ بِسُحْرَةٍ، قَدْ جَسَّدَتْ أَنْوَارُها الأَحْلاَكَا
لَكَ أُرْيَحِيَّةُ مَاجِدٍ، إِنْ تَعْتَرِضْ فِي لَهْوِ رَاحِكَ، تَسْتَهِلْ لُهَاكَا
مَنْ كَانَ يَعْلَقُ فِي خِلاَلِ نِدامِهِ ذَمٌّ بِبَعْضِ خِلاَلِهِ فَخَلاَكَا

فالشاعر يحث المعتضد بالاستمتاع بالغناء وبمواصلة شرب كؤوس الخمر المليئة التي تخالط أنوارها ظلمة السحر، ويرى ابن زيدون أن هذه الخمرة تريح ممدوحه من الكد طالبًا منه مشاركته مجلسه الذي تتاح فيه فرصة الراحة، والتمتع بالغناء من قبل قيان وظيفتهن الإمتاع والمؤانسة، وبمعاقرة الخمر ينسى بلذاتها الهوى والهواء:

وَهُبَّ إلى اللَّذَّاتِ مُؤْثِرَ رَاحَةٍ تُجِمُّ بِهَا النَّفْسَ النَّفِيسَةَ لِلْكَدِّ
وَوَالِ بِهَا فِي لُؤْلُؤٍ مِنْ حبَابِهَا كَجِيدِ الفَتاةِ الرُّؤودِ فِي لُؤْلُؤِ العِقْدِ
وإِنْ تَدْعُنَا للأُنْسِ عَنْ أُرْيَحِيَّةٍ فَقَدْ يَأْنَسُ المَوْلَى إِذَا ارْتَاحَ بِالعَبْدِ

وأرسل ابن زيدون إلى أصدقائه الشعر مهديًا وآملًا، واستقبل هداياهم شاكرًا، ومعظم تلك الهدايا إما فاكهة كالعنب والتفاح، أو خمر، وقد أهدى ذات يوم إلى المعتضد تفاحًا وكتب معه:

يَا مَنْ تَزَيَّنَتِ الرِّيَا سَةُ حِـينَ أُلْبِسَ ثَوْبَـهَا
وَلَهُ يَدٌ يَئِسَ الغَمَـا مُ مِنَ أَنْ يُعَارِضَ صَوْبَهَا
جَاءَتكَ جَامِدَةُ المِدَا مِ، فَخُـذْ عَلَيْهَا ذَوْبَـهَا

وأهدى إليه دواء، وكتب معه:

لَذَّة الوَصْلِ نَالَهُ بَعْـدَ يَأْسٍ كَلِفٌ طَالَمَا تَشَكَّى الجَفَـاءَ
يَفْضَحُ الشُّهْدَ طَعْمُهُ كُلمَا قِيْـ ـسَ إِلَيْهِ، ويُخْجِلُ الصَّهْبَاءَ

وتلقى منه هدية خمر مصحوبة بأبيات أجاب عنها بمقطوعة شعرية يشكره فيها، قائلًا:

لَشَرَّفَ مَمْلُوكَكَ المسْتَرَقَّ نَظْمٌ مِنَ الكَلِمِ المُنْتَحَلْ
ورَاحٌ تُعِيدُ إلى مَن أَسَنَّ طِيبَ زَمَانِ الصِّبَا المُقْتَبَلْ

واستهدى الشاعر المعتضد خمرًا في شعر رقيق فكتب إليه:

يَا بَـانِيًا كُلَّ مَجْدٍ وهَـادِمًا كُلَّ وَجْـدِ
جِسْمُ السُّرُورِ سَوِيٌّ مِنْ صَوْغِ نُعْمَاكَ عِنْدِي

فَهَبْ لَهُ رُوحَ رَاحٍ يَنْطِقْ بِأَحْفلِ حَمْدِ

وتشير المصادر الأدبية إلى أن ابن زيدون حين وفد على إشبيلية كان المعتمد في العاشرة من عمره، وكان يأنس من أبيه موهبة الشعر، فأحب الشعراء وولع بمجالستهم، وأنس بمنادمتهم، وآثر أن يتدرب على ابن زيدون، فبسط له نفسه، وفتح له صدره، حتى أصبح شاعرًا مجيدًا، وبعد أن ولي المعتمد العهد زادت صلاته بالشاعر وثاقة، فتبادلا الرسائل والأشعار، ومقارعة العقار، فوجد فيه ابن زيدون أميرًا كريمًا، وصديقًا مؤاخيًا، وصنوًا له في الأدب، فمدحه معجبًا به، محبًّا له، مطمئن النفس، فأصبت حياته كلها مسرة وهناءة و"لهو وطرب، ويكفي أنه كان في إشبيلية، بلد الخمر والموسيقى والغناء، وأنه كان في بلاط المعتمد الذي اجتمعت في قصوره زينة الدنيا ومباهجها، حتى كأن حياته سوى أيام حربه انتظمت حفلات"،[29]ولما كان مجلسه فوق مجلس ابن زيدون قدَّم المعتمد لأستاذه اعتذارًا شعريًّا رقيقًا، فقال:

أيُّها المنْحَطُّ عنِّي مَجْلِسًا ولهُ في القَلْبِ أعْلَى مَجْلِسِ
بِفُؤادِي لكَ حُبٌّ يَقْتَضِي أن تُرى تُحْمَل فَوقَ الأرْؤُسِ

فأجابه بقوله:

أسَقِيطُ الطـلِّ فَوقَ النَّرْجِسِ، أمْ نَسِيمُ الرَّوضِ تحتَ الحِنْدِسِ؟
أمْ نِظَـامٌ لِـلآلِ نَسَـقٍ، جَـــامِعٍ كُلِّ خَطِيرٍ مُنْفِسِ؟
أمْ قَرِيضٌ جَاءنِي عَنْ مَـلِكٍ مَـــالِكٍ بِالبِرِّ رِقَّ الأنْفُسِ؟
وارْتَشِفْ مَعْسُولَ نَصْرٍ أشْنَبٍ تَجْتَنِيه مِنْ عَجَـاجٍ أَلْعَسِ!
وارْتَفِقْ بِالسَّعْدِ في دَسْتِ المنَى يُصْبِحِ الصُّنْعَ دِهَاقَ الأَكْؤُسِ!

وكان ابن زيدون أبرز وزرائه الثلاثة الأكابر المثناة وزارتهم (أي أحد الثلاثة الذين يلقب كل واحد منهم بذي الوزارتين) والآخران هما ابن عمار وابن خلدون،[جد صاحب التاريخ المشهور] وقد ولع هؤلاء الثلاثة باللهو والطرب، يذكر أنهم خرجوا ذات يوم إلى منتزه للمعتمد "نووا الانفراد للهو والطرب، والتنزه في روضي النبات والأدب، وبعثوا صاحبًا لهم يسمى خليفة هو قوام لذتهم، ونظام مسرتهم، ليأتيهم بنبيذ يذهبون به الهم، وإزعاج القلوب، فجلسوا ينتظرونه، ويترقبون عودته، فلما رأوه مقبلًا من أول الفج بادروا إلى لقائه، واتفق أن فارسًا من الجند ركب فرسه فصدمه، ووطئ

عليه فهشم أعظمه وأجرى دمه، وكسر قمصال النبيذ الذي كان معه، وفرق من شملهم ما كان الدهر جمعه... فقال ابن زيدون:[30]

أنَلْهُو والحُتُوفُ بِنَا مُطِيفَةْ؟ ونَأْمَنُ والمَنُـونُ لنَا مُخِيفَةْ؟

وقال ابن خلدون:

وفِي يَوْمٍ ومَا أدْرَاكَ يَوْمٌ؟ مَضَى قُمْصالُنا ومَضَى خَلِيفَةْ!

وقال ابن عمار:

هُمَا فَخَّارَتَا رَاحٍ ورَوْحٍ تَكَسَّرَتَا فأشْقَـافٌ وجِيْفَةْ"

وأرسل إلى المعتمد:

دُونَكَ الرَّاحَ جَامِـدَهْ وفَدْتَ خَيْرَ وَافِدَهْ
وَجَدَتْ سُوقَ ذَوْبِـهَا عِنْدَ تَقْوَاكَ كَاسِدَهْ
فَاسْتَحَالَتْ إلَى الجُمُودِ وَجَاءَتْ مُكَـايِدَهْ

ثم عدل عن الأبيات السابقة، وكتب:

جَاءَتْك وَافِدَةُ الشَّمُول في المَنْظَرِ الحَسَنِ الجَمِيلْ
لَمْ تَحْظَ ذَائِبَـةً لَدَيْـ ـكَ ولَمْ تَنَلْ حَظَّ القَبُـولْ
فتَجَامَـدَتْ مُحْتَـالةً؛ والمَرْءُ يَعْجَزُ لا الحَوِيلْ
لولا انقلاب العين سُدْ دَت دون بغيتها السبيـل
لهَجرْتُهَا صَفْـرَاءَ في بَيْضَـاءَ هَاجِـرُهَا قَلِيلْ
الكَأْسُ مِنْ رَأْد الضُّحَى والرَّاح من طَفَلِ الأصِيلْ
آثرتَ عائِـدةَ التُّقَـى ورَغِبْتَ في الأجْرِ الجَزِيلْ

ويذكر أن المعتمد خرج في إحدى معاركه، فاستوحش الشاعر واشتاق إلى الاستئناس بمجالس ممدوحه، وبعد عودة المعتمد ظافرًا، هنأه الشاعر بقصيدة رائعة، معبرًا فيها عن صادق وده، وإخلاصه له، مستذكرًا نعم المعتمد العذبة التي تبعث نشوة لا تبعثها كؤوس الراح، حتى إنه أمر الساقي بإبعاد الخمر، ومن المغني قطع الوتر؛ مبالغةً في استذكار نعم ممدوحه التي أثملته، قائلًا:

أَيُهَا الظَّافِرُ أَبْشِرْ بالظَّفَرْ وأَجْتَلِ التَّأييدَ في أبْهى الصور
وتَفَيَّأْ ظِـلَّ سَعْدٍ تَجْتَنِي فيهِ من غرْسِ المنَى أَحْلَى الثَّمرْ

فَتَوى دُونَكَ مثْوى قَلِقٍ يَشْتَكِي مِنْ لَيْلِهِ مَطْـلَ السَّحَرْ
قُلْ لِسَاقِينَا: يُجِرْ أَكْؤُسَهُ ولِشَادِينَا: يَصِلْ قَطْعَ الـوَتَرْ
حَسْبُنَا سُكْرٌ جَنَتْهُ ذِكَرٌ دُونَهُ السُّكْرُ الَّذي يَجْنِي السَّكَرْ

وفي رواية:

قُلْ لِسَاقِينَا: يَجُزْ أَكْؤُسَهُ ولِشَادِينَا: يَصِلْ قَطْعَ الـوَتَرْ

على سبيل مواصلة الغناء، ومناولة السقاة للخمر، ويرى علي عبد العظيم أن الرواية الأولى هي الأنسب، ويتفق الباحث مع رواية عبد العظيم؛ مستأنسًا بالبيت التالي له (حسبنا سكْرٌ جنتهُ ذِكَرٌ)، فالشاعر ينهى عن الخمر والغناء، على سبيل تذكر نعم المعتمد.

وقد عرف ابن زيدون بمطارحاته ومراسلاته إلى أصدقائه ذاكرًا مجالس الخمر، إلا أن هذه المجالس، كثيرًا ما تجاوزت مطالب الشهوة والجسد، إلى مطارحات أدبية، ومساجلات شعرية، فقد كتب مخاطبا أبا حفص بن برد:

قُلْ لِأَبِي حَفْصٍ وَلَمْ تَكْذِبِ يَا قَمَرَ الدِّيْوَانِ والمَوْكِبِ
مَا لأَبِي صَفْوَانَ مَأْلُوفِنا أَبْرَقَ فِي الأُلْفَةِ عَنْ حُـلَّبْ؟
ولَمْ يَعُـدْ إلَّا كَمَـا يُتَّقَى مُسْتَرِقُ السَّمْعَ مِنَ الكَوْكَبِ
عَنِّفْـهُ باللهِ عَلَى فِعلِهِ واشْتم وإنْ لَمْ يَسْتَقِمْ فاضْرِب
وعَاطِهِ صَهْبَاءَ مَشْمُولةً يَرَى بِهَا المشْرِقَ فِي المغْرِبِ
ولْيَشْرَبِ الأَكْثَرَ مِنْ كَأْسِهِ واعْمِدْ إلَى فَضْلَتِهِ فَـاشْرَبِ

وبعث ذو الوزارتين أبو عامر إلى ابن زيدون بأبيات وقد طالت غيبته، فأجابه بقوله:

هَوَايَ وإنْ تَنَاءَتْ عَنْكَ دَارِي كَمْثْلِ هَوَايَ فِي حَالِ الجِوَارِ
مُقِـيْمٌ لا تُغَيِّـرُهُ عَـوَادٍ تُبَاعِدُ بَيْنَ أَحْيَـانِ المَزَارِ
رَأَيْتُكَ قُلْتَ: إنَّ الهَجرَ بَدْرٌ مَتَى خَلَتِ البُدُورُ مِنَ السَّرَارِ
ورَابَكَ أَنِّي جَلْـدٌ صَبُـورٌ وكَمْ صَبْرٍ يَكُونُ عنِ اضْطَبَارِ
ولَمْ أَهْجُـرْ لِعَتْبٍ غَيْـرَ أَنِّي أَضَرَّتْ بِي مُعَاقَـرَةُ العُـقَارِ
وأَنَّ الخَمْـرَ لَيْسَ لَهَا خُمَارٌ تُبَرَّحُ بِي فَكَيْـفَ الخُمَـارِ؟

وأرسل إلى جده لأمه الوزير أبي بكر بن إبراهيم هدية عنب العذارى الذي يبعث نشوة كنشوة الخمر، مقدمًا لك التحية نيابةً عني:

أتَاكَ مُحَيِّيًا عَنِّي اعْتِبَارَا عَذَارَى دُونَهُ رِيْقُ العَذارَى
تَخَالُ الشُّهْدَ مِنْهُ مُسْتَمَـدًّا ونَفْحَ المِسْكِ مِنْهُ مُسْتَعَارَا
يَرُوقُ العَيْنَ مِنْهُ جِسْمُ مَاءٍ غَدَا ثَوْبُ الهَوَاءِ لَهُ شِعَارَا
ولَوْلَا أنَّنِي قَدْ نِلْـتُ مِنْهُ ولَمْ أسْكَرْ لَخِلْتُ بِهِ عُقَارَا
بَعَثْتُ بِهِ ولَوْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، لَكَانَ مِنْ برِّي اقْتِصَارَا
فأَنْعِمْ بالقَبُولِ، فَرُبَّ نُعْمَى أَعَدْتَ بَهَا دُجَى لَيْلِي نَهَارَا

ووصف شمائل المظفر سيف الدولة أبا بكر محمد بن مسلم صاحب بطليوس بأنها:

شَمَائِل، تُهْجَرُ عَنْهَا الشَّمُولُ؛ وتُخْفَى لَهَا مُشْجِيَاتُ النَّغَمْ

فطبائعه وخصاله تُبعد عنها الخمرة وأجواء الغناء. وقد بلغ من شغف ابن زيدون بالخمر أنه كثيرًا ما يلهج بها ويستخدمها في تشبيهاته، حتى في قصائد الرثاء، فخلائق ابن ذكوان في رثاء الشاعر له:

شيمٌ يُنَافِسُ حُسْنَهَا كالرَّاحِ نَافَسَ طَعْمَهَا الجِرْيَالُ

وقد شبه ابن زيدون خلق ولادة وحسنها وظرافتها برائحة الخمر ونشوتها، قائلًا:

لَهُ خُلُقٌ عَذْبٌ وخَلْقٌ مُحَسَّنٌ وظَرْفٌ كَعَرْفِ الطِّيْبِ أو نَشْوةِ الخَمْرِ

وكان ابن زيدون دائم الوله إلى ولادة يناجيها في مطالع مدائحه، يقول ابن خاقان: "ولما حل من المعتضد بالمكان الذي حل، وانتكث عقد شدائده وانحل، تسلت نفسه من شجونها، وحنت إلى صفاء ولادة وحجونها، وتذكرها وما تناساها، وعاودته لوعته وأساها، وحن إليها حنين من حيل بينه وبين ما يشتهي، وقنع بإهداء تحية تبلغ إليها وتنتهي، حانًا إلى أيام لهوه ومجونه ومعاقرته للخمرة معها مشبهًا ريقها بالخمرة يقول في مطلع فائيته في المعتضد حانًا إلى ولادة:[31]

أما في نسيمِ الريحِ عَــرفٌ لنا هل لذاتِ الوقفِ بالجزْعِ موقِفُ"
وإنّي لَيَسْتَهْوِينِي البَرْقُ صَبْوةً إلى بَرْ قِ ثَغْرٍ إنْ بَدَا كَــادَ يَخْطَفُ
ومَا ولَعِي بالـرَّاحِ إلاَّ تَوَهُّمٌ لِظَلْـمٍ بِهِ كالَــرَّاحِ لو يَتَرشَّفُ

فأغلب شعره بإشبيلية في الحنين إليها وإلى مجالس أنسها، فقد هتف بها في مواطن عديدة، ورتل حنينه إليها كلما شط به عنها المزار، ففي حنينه إليها وإلى مجالس العقار يختم نونيته التي مطلعها، هل تذكرون غريبًا عاده شجن، بقوله:[32]

بَمَ التّعَلُّلُ؟ لا أهْل ولا وطن ولا نديمٌ، ولا كأسٌ، ولا سكـنُ

ويقول في نونيته الشهيرة في حنينه إلى ولادة:

نَأْسَى عَلَيكِ إذَا حُثَّتْ، مُشَعْشَعَة، فِيْنَا الشَّمُـولُ وغَنَّانَا مُغَنِّيْنَا

لَا أَكْؤُسُ الرَّاحِ تُبْدِي مِنْ شَمَائِلِنَا سِيمَا ارْتِيَاحٍ وَلَا الأَوْتَارُ تُلْهِينَا

فالشاعر دائم الحنين إليها، حتى إن أكؤس الراح، وأوتار الغناء لم تستطع أن تنسيه. ويقول:

إليكِ، من الأنامِ، غَدَا ارْتياحِي، وأنتِ، على الزّمانِ، مدى اقتراحي

ومَا اعترَضْتْ هُمومُ النفسِ إلاَّ ومِن ذِكْـراكِ، ريحانِي وراحِي

ويقول متذكرًا أيام لهوه في منازه قرطبة التي كان يختلف إليها في الأعياد:

أيَّامُ وصْـلٍ بالعَقِيـقِ اقْتَضَيْتُهُ فَإلَّا يكُنْ مِيْـعَادُهُ العِيدَ فَالْفِصْحَا

وآصَـالُ لهْوٍ في مُسَنَّاةُ مَـالِكٍ مُعَاطَاةَ نَدْمَـانٍ إذا شِئْـتُ أو سَبْحَا

هُنَاكَ الحِمَامُ الرُّزْقُ تُنْدَى حِفَافَها ظِلالٌ عَهِدْتُ الدَّهْرَ فِيهَا فَتًى سَمْحَا

تَعَوَّضْتُ مِنْ شَدْو القِيَانِ خِلَالَهَا صَدَى فَلَوَاتٍ قدْ أَطَارَ الكَرَى ضَبْحَا

ومِنْ حَمْلِي الكَأسَ المفَدَّى مُدِيرُهَا تَقَحُّمَ أهْـوَالٍ حَمَلْتُ لَهَا الرُّمْـحَا

فشعره بإشبيلية يعج بالحنين والشوق لولادة ومجالس أنسها والحديث عن الخمرة، مما يدل على أنه كان يرتاد مجالسها ويشاركها الكؤوس؛ بينما لا نجد لهذه القصائد التي تذكر الخمر وتشير إلى تناولها مع ولادة ـ بقرطبة ـ أثرًا بديوانه؛ ولعل ذلك يرجع إلى مجاملته لآل جهور في محاربتهم للخمر، أو أن بعض قصائده في الطور الأول قد أسقطها من الديوان؛ لتفاهتها.[33] ولما كانت الخمر منتشرة بين جميع الفئات، ولم تخل مجالسها من اللهو والطرب ومن الفتيان الذين يطوفون بأكواب الخمر على الحاضرين، كان هذا مدعاة لقول الشاعر والتغزل بهؤلاء السقاة[34] واصفًا صفاتهم الحسية والجسدية، فتغزل بعيونهم وخدودهم وقوامهم، وشبههم بالشمس والهلال والظباء، وتلذذ بخمر رضابهم، وسحر ألحاظهم وورد وجناتهم الذي يحاكي الخمر، وعشق رقة خصورهم ودلالهم، فمن ذلك قوله:

قَضِيبٌ مِنَ الرَّيْحَانِ أَثْمَرَ بالبَدْرِ
لَواحِظُ عَيْنَيْهِ مُلِئْنَ مِنَ السَّحْرِ
وَدِيْبَاجُ خَدَّيْهِ حَكَى رَوْنَقَ الخَمْرِ
وألْفَاظُهُ في النُطْقِ، كالُّلؤْلؤِ النَّثْرِ وَرِيقَتُهُ في الارْتِشَافِ مُـدَامُ
سَقَى جَنَبَاتِ القَصْرِ صَوْبُ الغَمَائِمِ
وغَنَّى عَلَى الأغْصَانِ وُرْقُ الحَمائِمِ
بِقُرْطُبَـةَ الغَـرَّاءِ دَارِ الأكـارِمِ
بِلادٌ بِهَا عَـقَّ الشَّبابُ تَمَائِمِي وأَنْجَبَنِي قَـومٌ هُناكَ كِـرامُ
فَكَمْ لِي فِيهَا مِنْ مَسَـاءٍ وإصْبَـاحِ
بِكُلِّ غَـزَالٍ مُشْرِقِ الوَجْهِ وضَّاحِ
يُفدِّمُ، أفْـوَاهَ الكـؤُوسِ، بِثُفَاحِ
إذا طَلَعَتْ، في رَاحِهِ أنْجُمُ الرَّاحِ فَـإنَّا لإعْظَـامِ المدامِ، قِيامُ
ويَـومٍ لدَى البُنْيَةِ في شاطِئِ النَّهْرِ
تُدَارُ عَلَينَا الرَّاحُ في فِتْيَةٍ زُهْـرِ
ولَيْسَ لنَا فَـرْشٌ سِوَى يَانِعِ الزَّهْرِ
يَدُورُ بِهَا عَذْبُ اللُّما أهْيَفُ الخَصْرِ بِفـيهِ مِنَ الثَّغْـرِ الشَّنِيبِ نظَـامُ
ويَومٍ بِجُوفِيِّ الرَّصَافَةِ مُبْهِـجِ
مرَرْنا برَوْضِ الأقْحُوانِ المدبَّجِ
وقَابَلَنَا فيـهِ نَسيـمُ البَنَفْسـجِ
ولاَحَ لنَا وَرْدٌ كَخَـدِّ مُضرَّجِ تَرَاهُ أَمَامَ النَّورِ وهوَ إمَـامُ
واكْرِمْ بأيّامِ العُقابِ السَّوالِفِ
ولَهْوٍ اثَرنَاهُ بِتَلْكَ المعَاطِفِ
بِسُودِ أثِيثِ الشَّعرِ بيضِ السَّوالِفِ
إذَا رفَلُوا في وَشْيِ تِلْكَ المطَارِفِ فَلَيْسَ عَلى خَلْعِ العِذارِ مَلامُ
وكَمْ مَشْهَدٍ عِنْدَ العَقِيـقِ وَجِسْـرِهِ

قَعَدنَا علَى خُمْرِ النَّبَاتِ وصُفْـرِه
وظَبـيٍ يُسْقِينَا سُـلافةَ خَمْـرِه
حَكَى جَسَدِي في السُّقمِ رِقَّةَ خَصْرِه لوَاحِظُهُ عِندَ الرُّنُوّ، سِهـامُ

ويقول في واصفًا أحد السقاة:

مَغِيْمٍ . ولكنْ مِنْ سَنَا الرَّاحِ . مُشْمِسِ إذا مَا بَدَتْ . في كَأْسِهَا . تَتَلَأْلَأْ
يَرِفّ، عَرُوسِ اللَّهْوِ، أحْوَرُ أغْيدُ
لهُ مَبْسَمٌ عَذْبٌ، وخَـدٌ مُـوَرَّدُ وكَـفٌّ، بِحِنَّاءَ المِـدَامِ، تُقَنَّأُ
أسِفْتُ، فما أرْتَاحُ، والـرَّاحُ تَعْمَلُ
ولا أسْعفُ الأوتارَ، وهي تَرَسَّلُ

ويقول ابن زيدون حانًّا إلى معاهد لهوه ومجونه بقرطبة، متغزلًا بساقي الخمر، الذي وصف قوامه بقضيب البان يهتز دلالًا، أحور الطرف يسقم الأجسام:

على الثَّغَبِ الشُّهْـدِي منّي تَحِيَّةً زَكَتْ وعَلى وادِي العَقِيقِ سَلامُ
مَعَاهِـدُ لهوٍ لَمْ تَزلْ في ظِلالِهَا ثُـدَارُ عَلَينا لِلْمُجُـونِ مُـدَامُ
وصُحْبَةُ قَـوْمٍ كالمِصَابِيحِ كلُّهُم إذا هزَّ للخَـطْبِ المِلمِّ حُسَـامُ
إذَا طَافَ بالرَّاحِ المِـديرُ عَلَيهِمُ أطَافَ به بِيضُ الوُجُـوهِ كِـرامُ
وأَحْوَرَ سَاجِي الطَّرفِ حَشْوُ جُفُونِهِ سَقامٌ، بَرَى، الأجسامَ، منه سَقامُ
تَخالُ قَضِيبَ البانِ في طَيّ بُرْدِهِ، إذا اهْتـزَّ منهُ مَعْطِفٌ وقـوامُ
يُدِيرُ عَلَى رَغْمِ العِدَا، مِنْ وِدَادِهِ سُلافًا ، كأنَّ المِسْكَ مِنْهُ خِتَـامُ
فَمَنْ أجْلِهِ أدعُـو لقُرْطُبَةَ المنى بسُقْيا ضَعيف الطَّلّ منه خِتامُ

وكثيرًا ما تدفع الراح إلى المجون، فقد وصف لنا الشاعر ليلة من لياليه الصاخبة الماجنة، يناجي فيها صديقه أبا القاسم بن [35] قائلاً:

زَارنِي بَعْدَ هَجْعَـةٍ ، والثُّرَيَّا رَاحَـةٌ تَقْدِرُ الظَّـلَامَ بِشِـبْرِ
فَرَشَفْتُ الرُّضَابَ أعْذَبَ رَشْفٍ وهَصَرْتُ القَضِيبِ أَلْطَفَ هَصْرِ
ونَعِمْـنَا بِلَفِّ جسْـمٍ بِجِسْمٍ لِلتَّصَـافِي وقَـرْعِ ثَغْرٍ بِثَغْرِ
يا لَهَا لَيْلةٌ تَجَلَّـى دُجَـاهَا مِنْ سَنَا وَجْنَتَيْهِ عَنْ ضَـوءِ فَجرِ

قَصَّرَ الوَصْلُ عُمْرَها وبِـودِّي أنْ يَطُـولَ القَصِيرُ مِنْها بِعُمْرِي
يـا أبَا القـاسِمِ الذِّي كَانَ رِدئِي، وظَهِيرِي، على الزمانِ، وذُخْرِي
هَلْ لحَالِي زَمَانِنَا مِنْ رُجُـوعٍ أمْ لماضِـي زَمَانِنَا مِنْ مَكَـرّ؟
أيْنَ أيَّامُـنَا؛ وأيْنَ لَيَـالٍ؛ وسَـنٌ، أو هَفَا بِهِ فَـرْطُ سُكرِ
حِينَ نَغْـدُو إلى جَدَاولَ زُرْقٍ، يَتَغَلْغَلْنَ في حَـدَائقَ خُضْـرِ
في هضابٍ مجْلُوَّةِ الحُسْنِ، حُمْرٍ وبَـوادٍ مَصْقُـولَةِ النَّبْتِ عُفْرِ
نَتَعَاطَـى الشَّمُولَ، مُذْهَبَةَ السّرْ بَـالِ، والجَوُّ في مَطَارِفَ غُبْرِ
في فُتُوّ، توشَّحُـوا بالمعَـالِي وتَردُّا بِكُلِّ مَجْـدٍ وفَخْـرِ
وُضَّحٍ، تَنْجَلـي الغَيَـاهِبُ مِنْهُمْ عَنْ وُجُوهٍ، مِثلِ المصَابِيحِ، غُـرّ
كُلُّ خِـرْقٍ، يكاد ينهـل ظرفًا زان مـرْأَى به بأكْرَمِ خُبْرِ
وسَجَـايَا، كأنَّهُنّ كُـؤُوسٌ؛ أو رِيَاضٌ قدْ جَادَها صَوْبُ قَطْرِ
يَتَلـقَّى القَبُـولَ مِنّي قُبُـولٌ كُلَّما رَاحَ نَفْحُها ارْتَـاحَ صَدْرِي

المبحث الخامس: أوقات شرب الخمر، وأماكنها، وصفاتها:

شرب ابن زيدون الخمرة ليلًا، وقد وصف لنا ليلة من ليالي البهجة والأنس قضاها في إحدى جنات إشبيلية في شرب المدامة إلى أن بدا الصبح في الظهور، وقد حاز فيها الاستمتاع بأطيب اللذات حيث لا كدر ولا هم يعتريه، وتمنى لو طالت ليلته لدامت مسرته، لكن الليالي الجميلة دائمًا تكون قصيرة:

ولَيْلٍ أَدَمْـنَا فِيهِ شُـرْبَ مُـدَامَةٍ إِلَى أَنْ بَدَا لِلصُّبْحِ فِي اللَّيْلِ تَأْشِيْرُ
وَجَاءَتْ نُجُومُ الصُّبْحِ تَضْرِبُ فِي الدُّجَى فَوَلَّتْ نُجُومُ الليلِ واللَّيلُ مَقْـهُورُ
فحُـزْنا من اللَّـذَّاتِ أطْيَـبَ طِيْبِـهَا ولَمْ يَعْرُنَا هَمٌّ ولا عَاقَ تَكْـدِيرُ
خَـلَا أنَّهُ لَـوْ طَالَ دَامَتْ مَسَـرَّتِي ولكِنْ لَيَالِي الوَصْلِ فِيهِنَّ تَقْصِيرُ

وأحيانًا يصف شربها صباحًا، كقوله: (وتُصْبِحُنِي مُعَتَّقَةَ السَّمَاحِ)، وقوله: (إِذِ اتَّصَلَ اغْتِبَاقِي في اصْطِبَاحِي)، وقوله: (مَا العَيْشُ إلاَّ في الصَّبُوحِ بِسُحْرَةٍ).

وقد ذكر لنا الشاعر أماكن انعقاد مجالسها، ففي حنينه إلى قرطبة كانت تعقد في الحانات والرياض، والبساتين، أما في إشبيلية فبالإضافة إلى الرياض والبساتين كانت تعقد في مجالس بني عباد وقصورهم البديعة التي منها المبارك والثريا، فقد كتب إلى المعتمد:

أما (الثُّريّا) فالثريّا نَصْبَةً وإفَـادةً وإنـافَةً وجَمـالا
وتَمَثّلِ (المبَارك) وجَنَّةً، وقد وسّطتْ فيها (الثُّريّا) خالا
وأدر هناك من المـدام أتمها أرجًا زكا، وأشفها جـريالا
قَصْرٌ، يُقِرّ العينَ منهُ مصْنعُ بَهِجُ الجَوانِبِ لوْ مَشَى لاختالا

وأبدع في تصوير ألوانها وربط ذلك بأبداعه، فمنها الجريال، وهي الخمرة الحمراء، التي شبهت بالورد والخد وغيرها، ومنها المائلة إلى الصفرة، كقوله:

لهَجَرْتُهَا صَفْـرَاءَ في بَيْضَـاءَ هَاجِـرُهَا قَلِيلْ
الكَأْسُ مِنْ رَأْد الضُّحَى والرَّاح من ظَفَلِ الأصِيلْ

فوصف كأسها ببياض الضحى أي أنه شفاف، والخمر بالحمرة المائلة إلى الصفرة، فالظفل: احمرار الشمس عند الغروب، والأصيل ما بعد العصر إلى الغروب. وقد وصف رائحتها بالطيب والورد والمسك في أكثر من موضع، وتعددت أسماءها في شعره منها: الراح، سلاف النعيم، ريحانة الجليس، كأس النديم، الخمر، أم الكبائر، الرجس، ومظنة آثام، المدام، السكر، المزاج، النشوة، الشمول، جامدة المدام، الصهباء، الكأس، العقار، الجريال، المعتقة. ووصف السقاة وما يقومون به من تقديم الخمر، واشترط فيهم الخفة والوسامة والسرعة في تلبية حاجات الحاضرين ورغباتهم، كما وصف خفتهم ودلالهم وترنحهم وتمايلهم.

الخاتمة:

بعد هذه الجولة في ديوان الشاعر، والولوج إلى فكره ولغته، وتتبعنا للمواقف التي طرأت عليه، وأثرت في نفسيته، نستنتج الآتي:

إن الشاعر نشأ نشأة دينية، فتتلمذ على جملة من العلماء والفقهاء، ويدلنا على ذلك هذا التوظيف الهائل للنصوص الدينة من قرآن وسنة، واستحضار التاريخ الإسلامي في شعره، ولكن طبيعة عصره المتحلل، والأحداث السياسية والعاطفية التي عصفت به؛ مالت به إلى مباشرة اللهو ومعاقرة الراح واستباحة المتعة فهزته فنون الموسيقى والغناء، ونظرًا لاختلاف الطباع بينه وبين أبي

الحزم بقرطبة، لم نجد لشعر الخمر والمجون أثرًا في شعره، بل كان يشيد بمواقف بني جهور في محاربته للخمر والمجون، مشيدًا بتدينهم ووقارهم، وبعد أن هاجر عن قرطبة واستقر في إشبيلية، لدي بني عباد، فتولدت بينهم صلات صداقة ومودة وطيدة الأركان جعلتهم يشركونه في خلواتهم، ويقارعونه الكؤوس ويطارحونه الأسمار ويقارضونه الأشعار ويهدي إليهم ويقبل هداياهم، فكثر في شعره وصف الخمر ومجالسها، مصورًا أماكن انعقادها في قصورهم ورياضهم، وأبدع في تصوير ألوانها، وأوقات انعقادها، معددًا أسماءها، واصفًا كل ما يتعلق بها من أدوات كالكؤوس والدنان وآلات اللهو والطرب ، والسقاة والراقصات والمغنيات، وغلب على شعره بإشبيلية، الحنين إلى ولادة وإلى مجالس أنسها، مما يدل على أنه كان يرتاد مجالسها ويشاركها الكؤوس؛ بينما لا نجد لهذه القصائد التي تذكر الخمر وتشير إلى تناولها مع ولادة . بقرطبة . أثرًا بديوانه؛ وقد يكون ذلك مجاملة لآل جهور في محاربتهم للخمر والمجون.

الهوامش:

1 . ينظر، الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط . وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان، ط/1، 2000، 7 /56.

2. ابن خاقان، أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق حسين يوسف خربوش، مكتبة المنار، الطبعة الأولى 1989، 209.

3 . ينظر: عبد العظيم، علي، ابن زيدون عصره وحياته وأدبه، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى 1955،132.

4. المرجع السابق، 43.

5 . دوزي، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة كامل كيلاني، الطبعة الأولى، عيسى الحلبي . القاهرة 1933،105.

6 . ينظر: ابن زيدون عصره وحياته أدبه، علي عبد العظيم،45.

7 . ينظر: ضيف، شوقي تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات (الأندلس) دار المعارف . القاهرة، ط 1989، 293.

8 . المرجع نفسه 293.

9 . جوميث، إميليو جارثيا، الشعر الأندلسي، (بحث في تطوره وخصائصه) ترجمة حسين مؤنس، دار الرشاد، القاهرة، 2005، 66.

10 . ديوان ابن زيدون ورسائله، شرح وتحقيق علي عبد العظيم، دار النهضة مصر، 1957. 29.

11. ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، الجزء الأول، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ـ بيروت، طبعة 1997، 336.

12 ـ ديوان ابن زيدون ورسائله، 64.

13 ـ المرجع السابق ص247.

14. ينظر: علي عبد العظيم، 305

15. ينظر ابن زيدون أو صفحة من مجالس الأنس في ليالي الأندلس، أحمد زكي باشا، مجلة البيان، الإسكندرية، 1914، 37، 38.

16. عبد العظيم، 227

17 ـ ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، 1 / 339.

18. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1988، 1/ 75.

19. نفح الطيب، 1/ 463

20. ابن خلدون، المقدمة، تحقيق محمد محمد تامر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى 2005، 348.

21 ـ بالثيا، آنجل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة 1955،22.

22. شاكر لقمان، شعر الملوك في الأندلس في القرن الخامس الهجري ـ المعتمد بن عباد أنموذجًا، رسالة ماجستير، جامعة العقيد الحاج لخضر ـ باتنة، 2008، 49

23. ينظر، شلبي، سعد إسماعيل، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، عصر ملوك الطوائف، دار نهضة، مصر، 429.

24. السعيد، محمد مجيد، الشعر في ظل بني عباد، المكتبة التونسية، الطبعة الأولى 1972، 162

25. ينظر، الصفدي، الوافي بالوفيات، 7 / 56. وضيف، شوقي، ابن زيدون، دار المعارف ـ القاهرة، الطبعة الثانية، د/ ت.

26. ينظر شوقي ضيف،28.

27. ينظر: ابن زيدون، علي عبد العظيم ص 262. والذخيرة 1 / 339.

28. ابن زيدون، علي عبد العظيم، 262.

29. شوقي ضيف، ابن زيدون، 28، 29

30. نفح الطيب 3 / 242، 243. وديوانه،211.

31. قلائد العقيان، الديوان 485

32. ديوان المتنبي، شرح العكبري، ضبط وتحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة ـ بيروت، د/ت. 4 / 233.

33. ذكر علي عبد العظيم أن بعض شعر ابن زيدون في المدح في الطور الأول من حياته قد فقد أو أسقط لتفاهته،351.

34. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة، 1964، 1 / 99.

35. علي بن عبد العظيم ص 390، ابن رفق اسم مستعار لولادة.

18

مجلة أبحاث

ABHAT JOURNAL

مجلة أبحاث
ABHATH JOURNAL
دورية علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن كلية الآداب - جامعة سرت - ليبيا

https/:su.edu.ly/colleges/arts
Abhat@su.edu.ly